المستشرقون وأثرهم في

تحقيق النصوص العربية

أ.ة . حلوي
فتيحة

جامعة أبو بكر بلقايدلمسان

ملخص الموضوع

تنوعت جهود المستشرقين في تحقيق التراث الإسلامي عموما، وعلى رغم الأهداف التي سطرها أعلامه، إلا أن الإنتاج العلمي الوافر لا يمكن إنكاره، ومع الاحتفاظ بحق ابتكار مناهج التحقيق ومدارسه فقد عمل المستشرقون على تحقيق ونشر العديد من المصنفات والكتب والرسائل العربية، من خلال هذه الدراسة يمكن تسليط الضوء على مناهج المستشرقين ومدارسهم، ومقارنتها بمناهج المساميين في التعامل مع النصوص العربية والأدبية، وتحديد أهدافهم فيلا التعامل مع النص العربي واللغوي.

Orientalists and their impact on the achievement of the arabic texts

Haloui Fatiha

Abstract

Generally the Orientalists efforts varied in achieving the Islamic heritage , In spite of the targets ranged by its banners . However, the abundant scientific production can not be denied , with the retention of the investigation methods innovation and its schools ; Orientalists have worked on achieving and publishing several Arabic works, books and messages . Through this study we can highlight on the Orientalists

methods and schools. And comparing it with the Muslims methods in dealing with the Arabic and literary texts, and identifying their targets in dealing with the Arabic and linguistic text .

مقدمة

فقد اعتنى العلماء والباحثون بنشر الكتب الخطية وتقديمها للناس خدمة للعلم وأهله أو نقلها من المخطوط إلى المطبوع بأدق صورة ممكنة، وإننا نعلم أن علماء الحديث، رحمهم الله أعطوا العناية الكافية، ووضعوا الضوابط الفائقة في رسم قواعد الرواية والضبط والنقل من أفواه الأشياخ والرواة، وكذا أوجه مقابلة الأصول والمرويات والسماعات، وأصناف تحمل العلوم المختلفة، فاتقنوا كتبهم غاية الإتقان، فكانوا أول المحققين للنصوص.

وبعد اختراع الطباعة ونشر الكتب بها، تعارف المحققون على قواعد لإظهار المخطوط إلى حيز المطبوع، فظهرت كتابات وتصانيف ومقالات وآمال في منهج تحقيق المخطوطات وهذا ما سنحاول إبرازه من خلال هذا المقال.

قبل الولوج في مضمون الدراسة، لا بد أن نتطرق إلى مفهوم المخطوط والتعرض لأهميته، وإبراز معنى التحقيق في اللغة والإصلاح والكشف عن مناهج المسلمين في العصور القديمة ثم إظهار أثر المستشرقين ودورهم في تحقيق النصوص العربية.

أولاً: ماهية المخطوط وأهميته:

المخطوط لغة: لم تذكر القواميس القديمة كلسان العرب لابن منظور ونظائره لفظة

مخطوط، وأرجع بعض الكتاب السبب في ذلك الى أنه لم يكن في عصرهم غير الكتاب

المخطوط ولم يتعاملوا إلا معه فقد تكون معرفتهم الشائعة به أغنتهم عن تعريفه ولقد عرفه

البتاني في قاموسه إذ يقول: "كلمة مخطوط، يرجع إنتقائه إلى الفعل خط يخط أي صور اللفظ بحروف هجائية"¹.

ولقد ورد مصطلح المخطوط في القرآن الكريم بهذا المعنى إذ يقول تعالى: "وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذ لأرتاب المبطلون"². في حركة التدوين والتأليف والنشر وأصبحت تطلق نسخة الكتاب التي خطها المؤلف أو غيره بالمخطوط، ومن هذا المنطلق أشار "إبراهيم مصطفى" في معجمه الوسيط إلى تعريف آخر ضمن هذا المعنى إذ يقول: "أنه المكتوب بالخط لا بالمطبعة وجمعه مخطوطات، والمخطوطة النسخة المكتوبة بخط اليد"³.

إن المخطوطة هي كل أثر علمي وفني كتب بخط اليد سواء كان رسالة أو كتابا أو صورة على ورق، أو ما شابه من حجارة، ألواح طينية، جلود، والتي لم تنسخ في نسخ متعددة قبل عنصر الطباعة جمع اختلاف إنتشارها حسب الزمان والمكان⁴ ومن هنا يمكننا القول أن المخطوط وثيقة خطت باليد لتأخذ صفة التقليدية والبساطة على سند معين ومختلف، يعكس طبيعة المجتمع الذي يحاكيه محتواه الفكري والذي يمثل المصدر الأصل في المعرفة بصفته يشكل تراث أو ثقافة أمة من الأمم وذاكرتها.

ثانيا: المخطوط العربي الآفاق والأهمية:

إن لتراثنا المخطوط آفاق فسيحة تبلور من خلالها حضارة الأمة العربية والإسلامية والذي يطلع على تاريخ هذه الحضارة يقف على كتب واسع الآفاق، وشموها لجوانب متعددة من علوم وآداب وفنون وعمران، وآثار وصناعات وإبتكارات متنوعة فيما يتصل بالكون والحياة والإنسان، وهي حضارة مبدعة لم تدع جانبا من الجوانب التي أشرت إليها إلا وكان لها سهم وافر، ومجال رحب، وإذا أردنا أن نحقق النظر في عطائها العلمي والثقافي،

نجد أنفسنا أمام حشد هام وهائل من الكتب والمصنفات التي دونها العلماء السابقون في شتى صنوف العلم والمعرفة من علوم الشريعة واللغة والأدب والحساب والهندسة والمنطق والطب وغير ذلك.⁵

ومن يجيل النظر في بعض المؤلفات التي ترصد تراثنا في حركة التأليف والفكر مثل كتاب "كشف الطنون عن أسامي الكتب والفنون" لحاجي خليفة، يقف على ما يثير العجب والدهشة لشمول واتساع التأليف عند العلماء العرب والمسلمين حيث يشمل جوانب العلم ودقائق المعرفة فيما يقرب من مئتي علم، وخلفوا لنا في ذلك كله تراثا ضخما يكاد يفوق الحصر. ومن آيات ذلك، ما نقرأه في تاريخنا الحضاري من عناية الخلفاء والعلماء بالكتب والمكتبات التي انتشرت في أرجاء الدولة الإسلامية، وحوث مئات الآلاف من الكتب مثل بيت الحكمة التي أسسها الخليفة العباسي المأمون الذي كان يرسل البعثات شرقا وغربا لجلب الكتب إليها في مختلف العلوم العقلية والعقلية⁶.

ثالثا: تعريف التحقيق:

وكغيره من المصطلحات الجديدة فقد اختلف في تعريف التحقيق، إذ عرفه الدكتور عبد الهادي الفضلي بقوله: "إخراج الكتاب بصورة مطابقة لأصل المؤلف أو الأصل الصحيح الموثوق إذا فقدت نسخة" وعرفه محمد آل شاكر بأنه بذل عناية خاصة بالمخطوط لتقديمه صحيحا كما وضعه مؤلفه⁷ أما محمد السيد علي البلاسي فقد عرفه في مقاله، أصول تحقيق المخطوطات بأنه "إخراج الكتاب على أسس صحيحة محكمة من التحقيق العلمي في عنوانه واسم مؤلفه ونسبته إليه، وتحريره من التصحيف والتحريف والخطأ والبقص والزيادة" ويقول عبد الإلاه نبهان "يعني التحقيق إخراج نص معين في شكل أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه إعتمادا على المقاربة بين كل النسخ التي بقيت من الكتاب وهو

مصطلح حديث، وحتى الآن لا نجد للتحقيق تعريفا واضحا وافيا موجزا إلا ما جاء به حديثا، الدكتور فخر الدين قباوة، حين عرف التحقيق اصطلاحا بأنه: "علم بأصول لإخراج النص المخطوط على الصورة التي أرادتها صاحبها من حيث اللفظ والمعنى فإن تعذر هذا كانت عبارات النص على أقرب ما يمكن من ذلك

رابعا: نشأة علم التحقيق:

لم ينشأ علم التحقيق دفعة واحدة بل إنه مر بمراحل وكانت كل مرحلة تتهم ما بقيتها، وتصنيف إليها فقد قام أجداد بالعرب والمسلمون بجهود كبيرة في تحقيق النصوص وتوقيعها وفق قواعد وضوابط مقررة لإثبات صحة النص ومعرفة صاحبه وتاريخ نسخة وناسخه وغير ذلك من الأمور التي تنتهي بإخراج النص كما وضعه صاحبه على قدر المستطاع

ويقول الدكتور: شوقي ضيف مؤكدا هذه الحقيقة: لقد كانوا يعرفون كل القواعد العلمية التي نتبعها في إخراج كتاب لا من حيث رموز المخطوطات فحسب بل أيضا من حيث إختيار أوثق نسخ لإستخلاص أوثق صورة للنص، ولعل خير ما يمثل عملهم في الجانب إخراج اليونيني، حافظ دمشق المشهور في القرن 7هـ، لصحيح البخاري لكن ما قاموا به لم يشكل قواعد علم مستقل بذاته كغيره من العلوم، حتى جاء عصر المطبوعات وهو أواخر القرن 19 وبداية القرن 20، إذا نصرف عدد من رجال العلم والمعرفة إلى تحقيق التراث والإقبال على نشره، وبعد انتشار دور الطباعة والنشر لمس بعضها اهتمام العلماء بنشر التراث وتحقيق المخطوطات، فراحت تتبع مصادر التراث في الدين واللغة والأدب والفنون، تصدرها وتشرف على نشرها، وفي ذلك العصر أصبح من الضروري التعريف بهذا العلم وتقعيده بشكل علمي دقيق، فقام بعض العلماء بتأليف الكتب التي تناول علم

التحقيق تعريفا وتعقيدا وشرحا تمثيلا، ولا ننكر أن هذه الكتب قد استفادت من جهود المستشرقين وأعمالهم في هذا المجال، إلا أنها قبل ذلك نقلت الكثير من مؤلفات أجدادنا العلماء التي قد تناولت هذا العلم، فقد تضمنت كتبهم بعضا من قواعد التحقيق والتوثيق وطرائقهما ومن هذه الكتب⁸.

- مقدمة ابن الصلاح العثمان عبد الرحمن الشهرزوري.
- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة
- المعيد في أدب المفيد والمستفيد للعلموي
- أدب الإماء والاستملاء للسمعاني

كما استمد مؤلفوا كتب علم تحقيق المخطوطات قواعدهم من تجارب العلماء الذين ولجوا عالم التحقيق، وبهذا يمكن القول بثقة أن علم التحقيق قد أصبح علما قائما بذاته له مناهجه وطرائقه وقواعده ومؤلفاته، حتى رأينا بزوغ علما آخرا جديدا من هذا العلم، وهو علم المخطوطات الكوديكولوجيا.

من صفات المحقق:

تمت صفات لا بد من توفرها في شخصية من يتولى تحقيق المخطوطات، ويمكن تلخيصها وإيضاحها فيما يلي:⁹.

* الإحساس بقيمة التراث العلمي والفكري إحساسا ينبع من الإيمان العميق بدوره الفعال في بناء حضارة الأمة عن طريق إحياء تراثها، وربط ما ضيها العريق بحاضرها المشرق لتكون تألقا وتفوقا في شتى مجالات الحياة، وميادين العلم والمعرفة.

* الحب والتعلق بثراتنا المخطوط، ومعايشته، وتوثيق الصلة على نطاق واسع قراءة ودراسة وخبرة ودراسة بأسراره، ودقائقه وخصائصه وأساليب تدوينه ومناهج كتابته وأنواع خطوطه،

* الخبرة والتمرس بتحقيق المخطوطات والدراسة الواسعة بأصول تحقيقها ومعرفة أصولها، وما كتبت به من خطوط متنوعة مشرقية ومغربية وفارسية حيث تواجهه المتحقق أشكال من الرسم يختلف الواحد منها عن الآخر، وقد يؤدي إلى شيء من الوقوع في اللبس القراءة الخاطئة¹⁰.

* أن يكون المحقق على علم ودراية بموضوع الكتاب، فإذا كان الكتاب في الحديث فلا بد أن يكون للمحقق إلمام ودراية بهذا العلم، وكذلك الشأن إذا كان في التفسير أو اللغة أو الأدب وسائر العلوم،

* الأمانة العلمية التي تقتضي تحرير النص وتصحيحه، والإجتهاد في إخراجها على الصورة التي تمت به على يد مؤلفه دون أي تصرف، أو تقويم بنقص أو زيادة دون أساس علمي يعتمد على أصول التحقيق المعتمدة عند شيوخ هذا العلم مع البعد عن كل ما يتنافى مع الأمانة العلمية،

* الإلمام الواسع باللغة العربية وأساليبها ومفرداتها وسائر علومها، من نحو وبلاغة وأدب، مما يذلل كثيرا من الصعاب التي قد تواجه المحقق في أساليب المخطوطة ولغتها، * التذرع بالصبر والآناة، لأن المحقق كثيرا ما تواجهه مشكلات وصعوبات قد تتطلب وقفات طويلة ومتأنية للوصول إلى علاجها الصحيح عن علم ويقين

* سعة الإطلاع على كتب التراث ومصادره في مختلف جوانب العلم والمعرفة، ومعرفة مناهج المؤلفين، وتوجهاتهم العلمية، وطرق البحث في مصنفاتهم حول شتى العلوم مما يساعد المحقق على تحرير وتوثيق نصوص الكتاب الذي يعمل على تحقيقه على النحو الذي سيأتي إيضاحه¹¹.

الأهمية العلمية للتحقيق:

للتحقيق أهمية كبيرة وقواعد جمة في البحث العلمي إذ أنه يساعد على:

1. إخراج النص كما أراده مؤلفه.
2. إحياء التراث المدفون في مقابر الخزانات
3. تقديم الكتاب صحيحا، كما تركه مؤلفه، سالما من الأخطاء والعيوب،
4. إثراء المكتبات بالمصادر الأصلية،
5. الإستفادة من علوم الكتب المحققة،
6. الإطلاع على الحقبة التاريخية والمرحلة التربوية والاجتماعية والسياسية وغيرها التي تضمنها المخطوط، وكانت قائمة وقتئذ أو دونت فيها المكتبات والمصنفات.

خامسا: منهج تحقيق المخطوط عند المسلمين في العصور الذهبية:

لقد عرف المسلمون الأوائل ما يطلق عليه اليوم التحقيق بما اتبعوه من قواعد انتهت بهم إلى ما أثبتوه من علوم الحديث عن طريق إثبات صحة السند وعلم الجرح والتعديل، وما قام به علماء اللغة والشعر من توثيق للنص القديم ومن التثبت من صحة نسب النص الذي يعتمدون عليه إلى قائله،

لقد سبق أن مر المسلمون بتجربة التحقق والحيطه والحذر في كتابة النص القرآني منذ

الوهلة الأولى التي عهد فيها الخليفة أبو بكر الصديق لمعاصرة من الصحابة بتوثيق القرآن

الكريم، والحقيقة أن القرآن الكريم قد كتب كله في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن ما دفع الخليفة أبا بكر رضي الله عنه، إلى تجميعه مرة أخرى كان بدافع موضوعي، هو أن القرآن الكريم، كان محفوظا في وعائين مهمين هما ما أملاه النبي صلى الله عليه وسلم على كاتبه ومنهم زيد بن ثابت وقد كان على العصب واللخاف الرفيق أما الوعاء الثاني فقد كان في صدور الصحابة من أنصار ومهاجرين، فما كان من أمر أبي بكر رضي الله عنه، في هذه المرحلة الثانية إلا استنساخ القرآن بمعارضة ما حفظ على العسيب واللخاف، أي ما أملاه النبي صلى الله عليه وسلم بما حفظه الصحابة رضوان الله عليهم، وقد تم لأبي بكر جمع القرآن وتوثيقه كله في سنة واحدة تقريبا، لأن فيما ترويه المصادر، أمر زيدا بجمعه كان بعد واقعه اليمامة، وقد حصل الجمع بين هذه الواقعة ووفاء أبي بكر ولكن لم يمر هذا الأمر (توثيق القرآن) دون إثارة بعض الإشكاليات إبان أو بعد ذلك وخصوصا بعد ما روى زيد بن ثابت حادثة أنه لم يجد ما فقده في النسخة الأولية، إلا مع خزيمة الأنصاري، فانكب الدارسون على استفسار هذا الأمر وتبديد الغموض الذي اكتنفه¹².

لم يتوقف العلماء المسلمون كثيرا في مجال التحقيق والتحصيص عند كتابة وتوثيق القرآن الكريم لأن هذه المسألة كانت بالنسبة إليهم أمرا قد حسم فيه منذ الكتابة الأولى للقرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، غير أنهم وخلافا لما سبق، فقد قاموا بابتكار منهجية وقواعد صارمة في قضية توثيق الحديث النبوي هذه المرة ويرجع الفضل في ذلك أي في إرساء قواعد الإسناد إلى أبي بكر الزهري* الذي اهتم بسلاسل الأسانيد لعدد كبير من الأحاديث، وكان عليه وهو أحد التابعين أن يبحث عن أوائل التابعين والصحابة

الذين أدركوا الرسول صلى الله عليه وسلم، وسمعوا منه أو كانوا أصحاب هذه الأحاديث، أما دوره في ذلك فيمكن في أنه كان أول من أثبت الأحاديث في صورة مكتوبة¹³.

ولقد انسحب هذا المنهج على بقية العلوم عند المسلمين، حتى أمسى علما قائما بذاته لا يقترب عالم أو أديب أو مؤرخ من علم إلا وتسليح به، إذ كانت الغاية من وراء ذلك هي جعل العلوم الإسلامية قاطبة خالية من كل ظن أو شبهة.

أما فيما يخص بما نحن بصددده وهو قواعد تحقيق المخطوط، فيمكن القول بكل ارتياح بأن منهجيته قد ولدت من بطن علوم الحديث مثله في ذلك مثل بقية العلوم والفنون العربية يختراف إلى ذلك ما اتسمت به طبيعة الكتابة ومذاهبها عنه العلماء المسلمون الذين كانوا يراجعون ما يؤلفونه من كتب عليه سواء بالزيادة أو التنقيح.

سادسا: خطوات تحقيق المخطوط عند العلماء العرب القدامى:

أ، اختيار الموضوع: على المحقق عند اختياره لمخطوط معين يود تحقيقه أن يتنبه لأمر عدة، كما أن عليه أن يلتزم بأمر منها¹⁴.

1. أن يأخذ حذره من أن يكون المخطوط نشر مسبقا وذلك بالرجوع إلى المصادر والبيبلوغرافيات التي تساعده في الدلالة على ذلك،

2. أن تكون ثقافة المحقق تقع ضمن دائرة موضوع المخطوط الذي يود العمل فيه:

فالمختص في علم الكحالة لن يفلح في ضبط أسماء الرواة إذا أراد تحقيق كتاب في علم الجرح والتعديل، لأن مصطلحات كل علم لا يدري بها إلا المختص بها لذلك إذا كان في المخطوط تحريف في مثل ذلك سهل على المتخصصين تلاقيه.

3. أن يتأكد أن للكتاب نسخا أو نسخة على الأقل مخطوطة متوافرة يسهل الحصول عليها وألا يكون من الكتب المفقودة، وأن يأخذ فكرة عنه من الكتب التي أشارت

إليه أو ذكرته، وقد أوصت "الجنة وضع مشروع أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه"¹⁵ المنبثقة عن المخطوطات العربية التوصيات التالية صدى اختيار الموضوع:

- تقديم الأهم على المهم وتقديم الأصول على الفروع وعلى المختصرات وتقديم ما لم ينشر على إعادة ما نشر.
- يولي التراث العلمي عناية خاصة ويجبذ أن ينشأ له مركز في أحد الأقطار العربية، وفروع لهذا المركز في الأقطار العربية، ويتفرغ له بعض العلماء القادرين عليها على أن تهيأ لهم أسباب التفرغ مادة ومعنى.
- يناط بمعهد المخطوطات العربية اختيار طوائف من المخطوطات الأصول التي يرى المتخصصون ضرورة تحقيقها ونشرها فيجمع نسخها ويعرف بها¹⁶.

ب. جمع النسخ:

بعد اختيار الموضوع يقوم الباحث بعملية جمع النسخ، والتعرف على مكان وجودها لديه طرق عدة للتعرف على مكان توافرها في مكتبات العالم، نذكرها:

- كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان
- كتاب تاريخ التراث العربي الفؤاد سيزكين .
- قاعدة معلومات المخطوطات في العالم التي أنشأها مركز الملك فيصل منذ فترة وجيزة المسماة خزانة التراث.
- معهد المخطوطات العربية بالقاهرة الذي قام بتصوير آلاف من المخطوطات في العالم،
- مركز ماجد جمعة للثقافة و التراث بدبي¹⁷.

ج. دراسة النسخ:

بعد الانتهاء من جمع ما تيسر للمحقق تحصيله من جمع النسخ، فإن المرحلة التالية المتوجبة عليه هي قيامه بدراسة هذه النسخ، وتقوم هذه الدراسة على معرفة ما في النسخ من تباين في الخط، والعصر الذي كتبت فيه، وتوثيق هذه النسخ لمعرفة تباينها واختلافها. فقد نجد الكثير من النساخ لديه مظاهر مميزة في إظهار الحرف العربي وكتابتة ولعل أنجع الوسائل في معرفة قواعد إملاء ذلك الناسخ موضع معجم من قبل المتحقق يقوم فيه بوضع ما يرادف رسم الحرف من إملاء الناسخ بما يقابله من الإملاء الحديث¹⁸.

د : ترتيب النسخ:

نعد أن يقوم المحقق بجمع النسخ الخطية ودراستها يقوم بعملية ترتيب أفضل للنسخ، وذلك حسب الترتيب التالي:

1. نسخة المؤلف والتي نسميها النسخة الأم ويجب ملاحظة اعتماد آخر نسخة كتبها المؤلف، فقد يكتب المؤلف كتابه ثم يضيف إليه من خلال قراءته له وتدريبه له ومراجعته إياه، لذلك فإن ما نسميه "الإبرازة الأخيرة" هي التي يجب أن تعتمد في "تاريخ دمشق" لابن عساكر له نسختان جديدة في ثمانين مجلدة وقديمة في سبع وخمسين¹⁹.
2. تلي نسخة المؤلف نسخة قرأها المؤلف أو قريب عليه، وأثبت بخطه أنه قرأها أو قرئت عليه.
3. تليها النسخة التي نقلت عن نسخة المصنف أو عورضت بها، وقولت عليها،
4. ثم نسخة كتبت في عصر المصنف، عليها سماعات على عالم متقن ضابط أو علماء،

5. ثم نسخة كتبت بعصر المصنف ليس عليها سماعات.
6. نسخ أخرى كتبت بعصر المؤلف، وفيها يقم الأقدم على المتأخر والتي كتبها عالم أو قرئت على عالم وفي حالات أخر نصادف نسخة متأخرة مضبوطة.
7. لا يجوز نشر كتاب عن نسخة واحدة إذا كان للكتاب نسخ أخرى معروفة لثلا يعوز الكتاب، إذا نشر التحقيق والضبط مرة أخرى.

هـ : مؤلف المخطوط:

تصادف المحقق أحوال "في نسبة الكتاب إلى المؤلف:

- ❖ إما أن يكون الكتاب يقينا لمؤلف معين أشارت إليه المصادر مثل كتب التراجم وكشف الظنون وأدلة الكتب.
- ❖ أو أن ينسب إلى أكثر من مؤلف، فتتنازع المصادر وتتردد في نسبة الكتاب لمصنف معين.
- ❖ أو أن يكون مجهول المؤلف فلا يظهر مصنفه ولا تكون عليه دلالة لذلك فإن على المحقق أن يملك الطريق التالية التي من الممكن أن تساعد على معرفة مؤلف المخطوط.
- ❖ معرفة تاريخ النسخ سواء عن طريق ما هو مثبت على المخطوط أو من خلال الخط إذ يعين ذلك الباحث على معرفة الفترة التي تلت حياة المؤلف أو عاش فيها وليحذر من أمارات التزوير في الخط التي من الممكن الوقوع فيها نتيجة فعل تجار المخطوطات والآثار.
- ❖ معرفة نوع الورق والحبر المستخدمين في المخطوط إن تيسر له معانيه المخطوط ماديا.

❖ قراءة المخطوط قراءة متأنية للوقوف على شواهد وقرائن تساعد المحقق على معرفة المؤلف.

❖ إن الموضوع الذي يتناوله المصنف يساعدنا بشكل رئيس على معرفة مؤلفه إذا حصرنا العصر الذي ألفه فيه، لاسيما الإستعانة بكتابي بروكلمان وسيزكين وكتب الطبقات²⁰

و : عنوان المخطوط:

على المحقق أن يثبت عنوان المخطوط كما وضعه مؤلفه، ولا يتصرف في تغيير شيء من ألفاظ العنوان، فقد يعتمد بعض المحققين إلى وضع عنوان رئيسي ثم يذكرون، أسفله العنوان الأصلي، وقد يعتمد بعضهم إلى إهمال العنوان الرئيسي والإكتفاء بما صنعه من اسم مختلف للكتاب.

وقد يصادف المحقق أن للكتاب أكثر من عنوان، وفي هذه الحالة عليه التثبيت من العنوان من خلال مقارنته ومفاضلته بين النسخ التي اعتمد عليها في تحقيق الكتاب، وما ورد للمؤلف في ترجمته من كتب الطبقات والتراجم وكتب الظنون وذيول²¹.

سابعا : واقع تحقيق المخطوطات لدى المستشرقين:

برزت عناية المستشرقين بنشر الكتب العربية منذ وقت مبكر مع فجر ظهور الطباعة في القرن 15م، وبدت عنايتهم بنشر الكتب العربية مركزة في اتجاهين:

الأول منهما تتمثل في الإهتمام بنشر كتب الطب والصيدلة والفلك والحساب والهندسة والكيمياء بقصد الإفادة منها في علومهم وحضارتهم مما يعد مفخرة لتراثنا العلمي وحضارتنا العريقة، وأما الثاني فيتمثل في نشر كتب الفلسفة والتصوف والعقائد والفرق وكتب الأسماء والقصص والجغرافيا.

لقد درج المستشرقون فيما نشره من الكتب العربية على العناية بجمع النسخ المخطوطة للكتاب، ودراسة هذه النسخ واختيار المعتمد منها في التحقيق، ثم المقابلة بينها، وإثبات فروق النسخ في الهواميش، وتبدو لديهم المغالاة في هذا الجانب بإثبات كل ما يعن لهم من فروق دون تمييز بين ما يستدعي المقام الإشارة إليه، أو لا يستدعيه، مما لا فائدة من الإشارة إليه، أو مما قد يكون من أخطاء النساخ وتصحيقاتهم²².

ومن ملامح نهجهم في التحقيق ما نجده عندهم من العناية بوصف نسخ الكتاب المعتمدة في التحقيق وصفا يبرز أهم ملامح المخطوطة، ويعرف بواقعها، مما يكسب القارئ ثقة بالنص المنشور كما يحرصون على الفهرسة التفصيلية للكتاب، من واقع الكتاب، وما يحتاجه من الفهارس المتنوعة، وعملوا على إيجاد الصلة بين الكتاب الذي يعملون على إيجاد الصلة بين الكتاب الذين يعملون على تحقيقه وبين المصادر الأخرى ذات الصلة بموضوعه لسابقة ولاحقة، وأفادوا من ذلك في تحرير مادة الكتابة، وتوثيق نصوصه وشواهد، وهذا النهج وإن بدا في نظر البعض للوهلة الأولى أنه نهج جديد ولم يكن مألوفاً عند سواهم غير أن المطلع في تراثنا الإسلامي، يجد أن علماءنا الأوائل من المحدثين وغيرهم سبقوا إلى التنبه على الشيء الكثير مما يدخل في نهج التحقيق ومع ما يقال من التزام المستشرقين بهذا النهج على النحو الذي أشرت إليه، إلا أن كثيراً مما خرج على أيديهم يشيع فيه التمحيص والتحريف لجهلهم باللغة العربية وافتقارهم الدقة في أداء النص على الوجه الصحيح لكثرة ما يفوتهم من تصحيح التصحيقات والأخطاء التي تقع في النسخ المعتمدة لديهم نتيجة لجهل النسخ.

فالمستشرقون عموما استفادوا في وضع محاضراتهم مما كتبه سلفهم من قواعد لنشر الآداب اليونانية واللاتينية وآداب القرون الوسطى، ثم استعمل هؤلاء تلك القواعد في نقد الكتب العربية والشرقية، غير أنهم لم يؤلفوا في ذلك تأليفا خاصا، حتى كان الدكتور "براجستراسر" أول من ألف في ذلك، مع تطبيق ذلك على التراث العربي آخذا في الحسبان طبيعة المخطوطات العربية من حيث اختلاف النسخ وأفضلتها ونحو ذلك، ونظرا لعنايته باللغات فإنه نبه على أهمية الترجمة أثناء التحقيق، فيقول في ص 40²³ "فأنفس التراجم ما صدر عن رجل يعرف اللسانين معرفة تامة يفهم العربية ومادة العلم الذي يترجم فيه فهما كاملا لا يغير معنى الأصل، ولا أسلوبه بل يتبعه محافظا عليه ما مكنته اللغتان" ويقول في ص 40: "وكما أن الترجمة بمنزلة نسخة ثانوية للأصل، فكذلك الأصل بمثابة نسخة للترجمة"، "ويضرب مثلا لذلك كتاب "صورة الأرض للخوارزمي الذي نشره ماجيك فأكثر مادته مأخوذة من كتاب بطليموس في الجغرافية، غير أن الخوارزمي لم يرجع إلى الأصل اليوناني للكتاب بل استعان بنسخ من ترجمة عربية له، إذ أن كتابه "صورة الأرض" خاص بأسماء أمكنة يونانية عديدة يكثر فيها التحريف²⁴.

وفي بحثه في النص يذكر أهمية فهم النص في إثبات القراءة العلمية فيقول في ص 49: "النقد وسيلة إلى اختيار القراءة الصحيحة، فأول ما نقول في هذا الباب انه لا نقد إلا بعد فهم، وإذا لم نفهم النص فكيف يمكننا التمييز بين الصحيح وغير الصحيح"، ويخلص الى قاعدتين أولا هما: أن النص الأقصر هو الصحيح لاحتمال إدخال الناسخ في النص ما ليس منه طلبا لشرحه، والثانية أن النص الأصعب هو الصحيح.

ويرى في بحث الترتيم أن إدخال النقط وغيرها في الكتب القديمة، لا فائدة فيها إلا في الأحوال النادرة، ذلك أن الناس تعودوا على قراءة الكتب الشرقية دون ترتيم، ولا يجدون مشقة حسب تفسيره، إلا في بعض المواقع الصعبة، وفي زيادة الترتيم خطر الخطأ، إذ رأى في بعض الكتب المنشورة بعض الجمل قطعت قسمين بنقطة دالة على نهاية الجملة، لأن المحقق لم يفهم تركيب الجملة فظنها تامة قبل تمامها²⁵

وفي إعداد الفهارس يرى أنه عند فهرسة الأعلام لا يجب التفريق بين أعلام الأشخاص والأماكن وغيرها، إلا إذا دعا إليه موضوع الكتاب كالكتب الجغرافية. وفي الخاتمة يضع شروطا يعدها أقل طلبا ممن يود نشر الكتب العربية لكي تكون النشرة موثوقة وهي بإيجاز.

1. أن يكون عدد النسخ التي بنيت عليها النشرة (الطبقة) كافيا بالنسبة إلى عدد النسخ الخطية المتوافرة.
2. أن يصف الناشر المحقق النسخ التي استخدمها في نشر الكتاب وصفا يمكن القارئ من مراجعتها وتقدير قيمتها.
3. أن لا يدع الناشر مجالاً للشك فيما هو موجود في النسخة أو النسخ وأن يقابلها بعناية تامة.
4. الإمتناع عن تغيير النص وإسقاط شيء منه إلا بعد أن ينبه القارئ إلى ذلك. والملاحظ على كتاب "بحسبتراسر" إستكثته من الأمثلة مما نشره المستشرقون كما نلاحظ عدم إعطائه أهمية في التعليق على النص وتوضيحه ويمكن أن نقول أن كتابه قدم وجهة نظر الإستشراق الأروبي عامة والألماني خاصة²⁶.

ولعل المستشرقان الفرنسيين "بلاشير *Blachère* وسوفاجيه *souvaget* أول من قدم عملا جديا وحقيقيا بعد برجستراسر، وذلك حين أخرجا كتابا باللغة الفرنسية في فن نقد النصوص ونشر الكتب تحت عنوان "قواعد نشر النصوص وترجمتها" ²⁷ سنة 1954 لكن هذا الكتاب خصص أغلبه يشرح طريقة ترجمة الكتب وقواعدها من العربية إلى الفرنسية، واقتصر على قواعد مختصرة وإشارات في علم التحقيق مستغنيا عن الأمثلة التوضيحية والنماذج التي تأخذ بيد الغالب إلى الممارسة الصحيحة والسليمة ²⁸.

وفي الأخير يمكننا القول أنه التقويم الوضع السائد في تحقيق المخطوطات تقريبا صحيحا لا بد من قيام حركة نقدية جادة لما بشر من تراثنا، وعن طريق هذه الحركة نقف على الهزيل من الأعمال وسعى إلى تقويمه، ونضع بين يد القائمين بها على الإثارة بالأعمال الجادة والمتقنة والتنويه بها، ونأمل من مجالات الجامع اللغوية والعلمية ومعهد المخطوطات والجامعات ومراكز البحوث والمجلات الثقافية أن تولي هذا الجانب كل عناية واهمال وأن يتجاوب معها كل لترات أمته من أهل العلم والثقافة والعناية بهذا التراث، وذلك بمتابعة ما ينشر منه والعمل على نقده وتقويمه.

الهوامش

* ابو بكر الزهري ت عام 124 هـ / 742 م .

1. في المخطوطات العربية، السيد السيد النشار، دار إحياء التراث، الإسكندرية، 1997، ص 05.
2. سورة العنكبوت، الآية 48.
3. محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، 1950، ج1، ص 563.
4. المخطوط والبعث العلمي، دراسة تقييمية لنشاطات مخابر البحث في المخطوطات بالجامعات الجزائرية، مولاي أحمد كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009، ص 104.

5. تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، عبد الرحيم عسيلات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياضية، 1994، ص13.
6. المرجع السابق، ص14.
7. موقع أرض الحضارات، www.pandcivi.com
8. المرجع السابق
9. تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، عبد الرحيم عسيلان، ص41.
10. المرجع السابق، ص43.
11. المرجع السابق، ص44.
12. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق يوسف عبد الرحمن، دار المعرفة، بيروت، 1994، ج1، ص03.
13. أدب الإملاء والإستملاء، السمعاني، دار الكتب العلمية بيروت، 1981، ص11، 4.
14. منهج تحقيق المخطوطات ومعه شوق المستهام في معرفة رموز الأفلام لابن وحثية النبطي إباد خالد الطباع، دار الفكر دمشق، 2003، ط1، ص23 .
15. ص 18 من تقريرها
16. المرجع السابق، ص24.
17. المرجع نفسه، ص25.
18. في منهج تحقيق المخطوطات، محمد مطاع الطرايشني، ص27.
19. قواعد تحقيق المخطوطات، صلاح الدين المنحد، دار الكتاب الجديد بيروت، 1987، ط4، ص8.
20. المرجع السابق، ص29.
21. المرجع نفسه، ص30.
22. مناهج تحقيق التراث والمخطوطات العربية، حسان حلاق، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، ص105.
23. من كتابه: أصول نقد النصوص ونشر الكتب.

24. منهج البحث وتحقيق النصوص، يحيى وهي الحياوري، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1993، ط1، ص19
25. المرجع نفسه، ص16.
26. المرجع السابق ص 15 .
27. Clachère et souvaet، regles pour edition et traduction de texte arabes paris 1945
28. مناهج البحث العلمي، عبد اللطيف محمد العيد، مكتبة النهضة العربية، مصر 1979 ، ص35